

مظهرها الحديث<sup>(١)</sup>؛ وما الإيمان المعاصر نفسه إلا إحدى مظاهر أو نتيجة ذلك الماضي البعيد؛ وحينما يستطيع الإنسان تفسير حياته بالتاريخ، أمكننا أن نقول: إن الإحساس التاريخي قد تكون لديه ونما فيه<sup>(٢)</sup>.

وإذا نحن تصورنا التاريخ على أنه مادة أو كتل من المعلومات Bodies of Knowledge، كنا نخطئين، فإذا هذا الاعتبار، بمعنى آخر، ما تقسيم المعرفة الإنسانية إلى مواد إلا تقسيماً مصطنعاً لا مقابل له في عالم الحقيقة والواقع<sup>(٣)</sup>، إذن علينا التحلل من هذا الاعتبار إلى حد كبير، بل من دكتاتورية الكتاب المقرر، فليس هو الفيصل في معرفة التاريخ أو آخر معرفة له؛ وربما — إن كان صالحاً — اعتبر مجرد مقدمة ونمهيذ لدراسة التاريخ على حقيقته<sup>(٤)</sup>.

قد يعيل البعض إلى اعتبار التاريخ رواية تمثيلية، منقطعة كل الأنقطاع عن حياتنا الحاضرة، بدعوى أنه يمت إلى عالم آخر غير عالمنا. هو عالم الأموات، وقد مات بموتهم، فلا أهمية حقيقية في النش عن أحوالهم، ولا بأس من إيراد دعوى من هذا القبيل قال بها أحد علماء المصور الوسطى بصدده حديثه عن المؤرخين: «وهم على شفا جرف هار، لأنهم يتسلطون على أعراض الناس»<sup>(٥)</sup> ويشترط بعد ذلك شروطاً في المؤرخ لا عمل لها هنا، والزعم بأنه قد مات بموتهم والحديث فيهم أو عنهم إنما من باب القصص ليس غير لا يتمشى مع المنطق ولا الحقيقة، تلك الحقيقة التي تطال المنا كل يوم في كل مظهر من مظاهر حياتنا المعاصرة: في الباني، في الزبي، في المواصلات، في التقدم، في القنبلة الذرية في غيرها...؛ كل هذا إنتاج تسلسل طويل، وكل مرحلة لا بد لها من بداية، وما دامت الحياة كائنة، فلم تدن النهاية بعد؛ هذا يوضح لنا ارتباط الماضي بالحاضر ووجوده فيه وامتداد هذا كله إلى المستقبل. وربما أراد البعض بالتاريخ في هذا المعنى الروائي أو الدرامي، أننا متفرجون، وهذا خطأ إن وقف المعلم والتلميذ

(١) T. Clarke: Foundations of Teaching History, Ch2, (١) PP 34 etc

(٢) المصدر السابق ص ١٥١ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق ص ٢٤.

(٤) Bourne H. E. The Teaching of history and Civics - (٤) In the Elementary and Secondary Schools, PP. 51 etc

(٥) البكي (تاج الدين بن عبد الوهاب): «معيد نعم ومبد

النعم» ص ٩٤.

في التربية الحديثة:

## التاريخ والقومية...

للأستاذ إبراهيم على طرخان

في الواقع يصعب تحديد معنى كلمة «تاريخ»، بل فهمها على الوجه الصحيح، فليس هناك تعريف نهائي مطلق، لسبب واحد فقط: وهو أن مجرد إدراك التاريخ على حقيقته جزء من التاريخ؛ لذا كان التعريف خاصاً لقانون التطور، ومن هنا كان لكل عصر، بل لكل أمة تعريف خاص، أطلق على ضوء فلسفة العصر وأهداف الأمة ومثلها العليا.

وليس مهمة المدرس في ابتداع تعريف جديد، أو حتى التسليم بتعاريف أخرى — إن كان للتعاريف أهمية في المراحل الأولى من التسليم — ما لم يحلها ويفهمها ويقنع بها فيما بينه وبين نفسه أولاً؛ غير أن الأجدر به أن يوجه همه ونشاطه نحو تفسير ما غمض في حياتنا المعاصرة، وذلك على ضوء التاريخ، فالإنجاز الحديث في تعليم التاريخ يقتضي هذا النهج لأمرين:

١ — إن الحاضر هو منبع الأسئلة ومثير الاستفهامات وعكس التفكير، بل هو مفر كل الأغراء للاطفال فضلاً عن الكبار، وهو معقد كل التعقيد.

٢ — هناك ماض لا يزال حياً في حاضرنا يؤثر فيه ولم تنقطع صلته به، كظواهر الحضارة والتقاليد وغيرها، ويعتبر الحاضر امتداداً له.

لهذا كان الحاضر متشعب النواحي مختلف الاتجاهات، وهي سنة كل مجتمع في بنائه وقيامه على الاختلاف لا على التشابه، ولفهمه على أصوله لا بد من التاريخ، ولدى الأبطال استمداد فطري تاريخي<sup>(١)</sup>. هذا يوضح أن من الممكن فهم التاريخ على حقيقته؛ يقول الدكتور Barker: «قد يجعلنا التاريخ متفرجين على الحاضر وما هذا الوجود المعاصر إلا حلقة من حلقات ماضيها التاريخي، فالتاريخ إذن هو إدراك النفس الشاعرة لكنها في

(١) ينظر بحث الدكتور القوصي: «سيكولوجية المواد الاجتماعية»

بكتاب: مؤتمر تيزيس المواد الاجتماعية ص ٢١ — ٣٧

الكثير من فوضى العهد القديم والطرق التقليدية التي من أبرز خصائصها في رأي فيلسوف التربية الحديثة « ديوى » ثلاث :

١ - الالتقاء المطلق أو الإيجابية المطلقة من جانب المدرس .

٢ - الاستماع المطلق أو السلبية المطلقة من جانب التلميذ وعدم احترام فاعليته وذا تيته .

٣ - صب المعلومات دون نظر إلى قيمتها في نظر التلميذ<sup>(١)</sup>

فيحفظ التلميذ شيئاً من الأحداث والألفاظ ، لا دلالة لها

في نفسه بالمرّة ، ثم نعتقد بعد هذا خطأ أننا نعرف تاريخاً أو نعلم

تاريخياً ، لا شيء إلا لأننا قرأنا وحفظنا الكتاب المقرر ، وأساس

هذه الفوضى وهذا الإنفلاس في النتائج من ( حيث تكون

المصرى الثقف التعلّم ) المستفيد من التاريخ الحقيقي ، هو الخلط

بين التاريخ وكتاب التاريخ ، وهذا خلط طبيعي في مثل هذا

الموضوع ، ومما يزيد في صعوبة تدريس التاريخ الحقيقي للطفل

عدم إمكان تطبيق الطريقة العلمية أو التجريب في تدريس التاريخ

ولا أسس استخلاص الحقائق من الوثائق طريقة علمية لتدريس

التاريخ ، فهذا عمل المؤرخ المختص ووفق شروط كثيرة جداً

ودقيقة لا تتأتى للتعلم الناشئ - إن أردنا إخراج مؤرخين -

ويمكن تلخيص هذه الشروط فيما يندرج تحت هذين الأساسين :

١ - معيار الصدق والحيدة العلمية التي يجب أن نتأكد

منها مقدماً بالنسبة لمؤلف الوثيقة .

٢ - الدقة والوضوح الذي يجب توفره في الوثيقة<sup>(٢)</sup> .

هل يمكن أن ألخص ما سبق في أن التاريخ هو طريقة للحياة ،

هو مجرى الحياة المتدفق ، هو مدى شعور المعاصر الدارس ينصيبه

في هذا الجرى . وما يبنى عليه كعصرى يعيش في للقرن العشرين؟

بمعنى آخر : إن إجابة السؤال الأول تعطينا فلسفة التاريخ .<sup>(٣)</sup>

ما الذي نمنيه من تدريس التاريخ ؟ هذا مبحث القال القادم

إن شاء الله .

إبراهيم علي طرهاد

(١) D. wey : School and Society : Ch. 2.:

The school and the life of the child PP 31-56

Keatinge: Studies in the teaching of History Ch 2: (٢)

The Scientific method in teaching Hist. and school problems PP.29-32

ينظر أيضاً : الدكتور زياده : صناعة التاريخ في مقالات مجلة الثقافة

(٣) ينظر بحث : شفيق غربال بك : « التاريخ والمدرسة » في

كتاب ( مؤتمر تدريس المواد الاجتماعية ) ( ص ٦١ - ٦٥ )

موقف المتفرج ، فالهمة الحقيقية للمعلم : إلى أي حد يشمر التلميذ

أنه ممثل وليس متفرجاً ؟ الكثير من الشخصيات تبدو في

مخيلته ، قد لا تختلف عنه إلا في الشكل أو المرض لا الجوهر ؛

فأى نصيب أو سهم يكون له فيما يقومون به ؟ فيم يختلفون عنه

كما قال فيصير أو الثورة الفرنسية ؟؟ إنه يترك مسرح درس

التاريخ ، وتغرب شخصيات الرواية عن خاطره ، ومن ثم يتجه

في طريق ، بينما أنجبت الدراما الإنسانية العامة إلى نحو آخر .

وقد غال دعاة هذه الناحية إلى حد تفضيل بعض الروايات

الشهورة على التاريخ ودراسته من حيث الأثر وما تركه في النفس

ومثلوا بروايات « شكسبير » نحو : Hamlet و Macbeth والرد

واضح ، فإذا اعتقد المشاهد أو الدارس ، أن ما يرى أو ما يقرأ

أو ما يسمع قد وقع فعلاً وشمل أناساً مثله لا يختلفون عنه كثيراً

ربما كان هذا أبعد في تأثيره وأعمق في إبعائه<sup>(١)</sup> ويستوى في

هذا الكبار والصغار إلى حد ما ، والواقع ليس التلميذ الصغير

مستعداً لإدراك حقيقة التاريخ كشيء . يشمله مباشرة ، كجبرى

أو أسلوب عام للحياة ، هو نفسه عليه أن يأخذ نصيب في هذا

الأسلوب : إن إعلاء أو استمرار أو تمديلاً ، لأنه يبدأ حياته

حيث انتهى أسلافه ؛ وإذا حاولنا النقص والهدم لاحتجتنا إلى

القرون الطويلة التي قضاها أسلافنا في التطور في مختلف فروع

الحياة ، حتى وصلوا إلى الرحلة التي نحن عليها ، والتراث الذي

خلفوه لنا ...<sup>(٢)</sup>

على هذا كان تدريس التاريخ بل فهمه على الوجه الصحيح

غير ممكن إلا للراشدين . فهمه يحتاج إلى خبرة ، وخبرة

الطفل لا تزال قاصرة ، والخبرة أساس في تكوين « فلسفة

الشخص » أو نظرتة إلى الحياة ، وهذه الفلسفة أشعر حقيقة أنها

تنقصنا نحن الكبار ، فإذا كانت الأمر كذلك بالنسبة لمعظم

الراشدين فكيف تكون بالنسبة للطفل ! ؟

ومع كل هذا لا بد من تدريس معلومات للطفل في مراحل

الأولى تحت عنوان « تاريخ » . ما هي هذه المعلومات ؟ وكيف

تدرس ! مبحث آخر

الهم الآن ، هو أن التسليم بهذه الحقيقة يزيل من أماننا

(١) F. C. , B 28

(٢) الدكتور حسن صفهان ( منهج البحث التاريخي ) مقالات نشرها

مجلة الرسالة تحت عنوان « كيف يكتب التاريخ » صيف سنة ١٩٤١م